وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعجِبُنِي الفَأْلُ**». قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»(١).

قوله في حديث أنس: «**لا عدوى، ولا طيرة**». تقدم الكلام على ذٰلك.

قوله: «ويعجبني الفأل»: أي: يسرني، والفأل بَيَّنه بقوله: «**الكلمة الطيبة**».

ف«**الكلمة الطيبة**» تعجبه ﷺ؛ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضي قُدُمًا لما يسعى إليه الإنسان، وليس هٰذا من الطيرة، بل هٰذا مما يشجع الإنسان؛ لأنها لا تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينةً وإقدامًا وإقبالاً.

وظاهر الحديث: الكلمة الطيبة في كل شيء؛ لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سببًا لخيرات كثيرة، حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة.

وهٰذا الحديث جمع النبي ﷺ فيه بين محذورين ومرغوب؛ فالمحذوران هما العدوى والطيرة، والمرغوب هو الفأل، وهٰذا من حسن تعليم النبي ﷺ؛ فمن ذَكَرَ المرهوب ينبغي أن يذكر معه ما يكون مرغوبًا، ولهذا كان القرآن مثاني إذا ذكر أوصاف المؤمنين ذكر أوصاف الكافرين، وإذا ذكر العقوبة ذكر المثوبة، وهٰكذا.

* * *

---

(١) أخرجه: البخاري في (الطب، باب الفأل، ٤/٤٦)، ومسلم في (السلام، باب الطيرة والفأل، ٤/١٧٤٥ ـ ١٧٤٦)؛ من حديث أنس.
وأخرجاه أيضًا من حديث أبي هريرة في المواضع السابقة رضي الله عنهما.

وَلأبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ؛ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُم مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لاَ يأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ،** .....

قوله: «عن عقبة بن عامر»: صوابه عن عروة بن عامر؛ كما ذكره في «التيسير»، وقد اختلف في نسبه وصحبته.

قوله: «ذكرت الطيرة عند رسول الله»: وهٰذا الذكر إما ذكر شأنها، أو ذكر أن الناس يفعلونها، والمراد: تحدث الناس بها عند رسول الله ﷺ.

قوله: «أحسنها الفأل»: سبق أن الفأل ليس من الطيرة[1]، لٰكنه شبيه بالطيرة من حيث الإقدام؛ فإنه يزيد الإنسان نشاطًا وإقدامًا فيما توجه إليه؛ فهو يشبه الطيرة من هٰذا الوجه، وإلا؛ فبينهما فرق لأن الطيرة توجب تعلق الإنسان بالمُتَطَيَّر به، وضعف توكله على الله، ورجوعه عما هَمَّ به من أجل ما رأى، لٰكن الفأل يزيده قوة وثباتًا ونشاطًا؛ فالشبه بينهما هو التأثير في كل منهما.

قوله: «ولا ترد مسلمًا»: يفهم منه أن من ردته الطيرة عن حاجته؛ فليس بمسلم.

قوله: «فإذا رأى أحدكم ما يكره»: فحينئذ قد تردُ على قلبه الطيرة، ويبتعد عما يريد، ولا يقدم عليه، وقد ذكر النبي ﷺ دواء لذٰلك وقال: «**فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات...**» إلخ.

قوله: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت»: وهٰذا هو حقيقة التوكل،

(١) (ص٥٧٠).

وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، .....

وقوله: «**اللهم**». يعني: يا الله، ولهٰذا بُنيت على الضم؛ لأن المنادى علم، بل هو أعلم الأعلام وأعرف المعارف على الإطلاق، والميم عوض عن يا المحذوفة، وصارت في آخر الكلمة تبركًا بالابتداء باسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وصارت ميمًا؛ لأنها تدل على الجمع؛ فكأن الداعي جمع قلبه على الله.

قوله: «لا يأتي بالحسنات إلا أنت»: أي: لا يُقدِّرها ولا يخلقها ولا يوجدها للعبد إلا الله وحده لا شريك له، وهٰذا لا ينافي أن تكون الحسنات بأسباب؛ لأن خالق هٰذه الأسباب هو الله، فإذا وجدت هٰذه الحسنات بأسباب خلقها الله؛ صار الموجد حقيقةً هو الله.

والمراد بالحسنات: ما يستحسن المرء وقوعه، ويحسن في عينه. ويشمل ذٰلك الحسنات الشرعية؛ كالصلاة والزكاة وغيرها؛ لأنها تسر المؤمن، ويشمل الحسنات الدنيوية؛ كالمال والولد ونحوها، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقوله: «إلا أنت»: فاعل يأتي؛ لأن الاستثناء هنا مفرغ.

قوله: «ولا يدفع السيئات إلا أنت»: السيئات: ما يسوء المرء وقوعه وينفر منه حالاً أو مآلاً، ولا يدفعها إلا الله، ولهٰذا إذا أصيب الإنسان بمصيبة التجأ إلى ربه تعالى، حتى المشركون إذا ركبوا في الفلك، وشاهدوا الغرق؛ دعوا الله مخلصين له الدين. ولا ينافي هٰذا أن يكون دَفْعُها بأسباب؛ فمثلاً لو رأى رجلاً غريقًا، فأنقذه؛ فإنما أنقذه بمشيئة الله، ولو شاء الله لم ينقذه؛ فالسبب من الله. فعقيدة كل مسلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يدفع السيئات إلا الله، وبمقتضى هٰذه

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ»[1].

العقيدة؛ فإنه يجب أن لا يسأل المسلم الحسنات ولا يسأل دفع السيئات إلا من الله، ولهٰذا كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يسألون الله الحسنات ويسألون دفع السيئات، قال تعالى عن زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال تعالى عن أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وهٰكذا يجب أن يكون المؤمن أيضًا.

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك»: في معناها وجهان:

الأول: أنه لا يوجد حول ولا قوة إلا بالله؛ فالباء بمعنى في، يعني: إلا في الله وحده، ومن سواه ليس لهم حول ولا قوة، ويكون الحول والقوة المنفيان عن غير الله هما الحول المطلق والقوة المطلقة؛ لأن غير الله فيه حول وقوة، لٰكنها نسبية ليست بكاملة؛ فالحول الكامل والقوة الكاملة في الله وحده.

الثاني: أنه لا يوجد لنا حول ولا قوة إلا بالله؛ فالباء للاستعانة أو للسببية، وهٰذا المعنى أصح، وهو مقتضى ورودها في مواضعها؛ إذ إننا لا نتحول من حال إلى حال، ولا نقوى على ذٰلك إلا بالله؛ فيكون في هٰذه الجملة كمال التفويض إلى الله، وأن الإنسان يبرأ من حوله وقوته إلا بما

(١) أخرجه: أبو داود في (الطب، باب في الطيرة، ٤/ ٢٣٥) ـ وسكت عنه ـ، وابن السني (٢٩٤)، والبيهقي (٨/ ١٣٩).

وقال النووي في «الرياض» كما في «دليل الفالحين» (ص٨٠٦): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وقال المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٥/ ٣٧٩): «عروة هٰذا قيل فيه: القرشي، وقيل فيه: الجهني، وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح. وذكر البخاري وغيره: أنه سمع من ابن عباس؛ فعلى هٰذا يكون الحديث مرسلًا».

وعن ابن مسعود، مرفوعًا: «**الطيرة شرك الطيرة شرك**

أعطاه الله من الحول والقوة. فإن صحّ الحديث؛ فالرسول ﷺ أرشدنا إذا رأينا ما نكره مما يتشاءم به المتشائم أن نقول: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

* * *

قوله: «**مرفوعًا**»: أي: إلى النبي ﷺ.

قوله: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**»: هاتان الجملتان يؤكد بعضهما بعضًا من باب التوكيد اللفظي.

وقوله: «**شرك**»: أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا؛ لقال: الطيرة الشرك.

وهل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج عن الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟ نقول: هي نوع من أنواع الشرك؛ كقوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**»[1]؛ أي: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا؛ لقال: «هما بهم الكفر»، بل هما نوع من الكفر.

لٰكن في ترك الصلاة قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[2]، فقال: «**الكفر**»؛ فيجب أن نعرف الفرق بين «أل» المعرفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هٰذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هٰذا الكفر؛ فهو المخرج من الملة.

---

(١) أخرجه: مسلم في (الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب، ١/ ٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في (الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ١/ ٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

وَمَا مِنَّا إِلاَّ... وَلٰكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ[1]. .....

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه لا يعد مشركًا شركًا يخرجه من الملة، لٰكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هٰذا السبب الذي لم يجعله الله سببًا، وهٰذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذٰلك يعتبر شركًا من هٰذه الناحية، والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا؛ فإنه مشرك شركًا أصغر».

وهٰذا نوع من الإشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هٰذا السبب شرعيًا، وإما في التقدير إن كان هٰذا السبب كونيًا، لٰكن لو اعتقد هٰذا المتشائم المتطير أن هٰذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركًا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد.

قوله: «وما منا»: «منا»: جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، إما قبل (إلا) إن قدرت ما بعد إلا فعلًا؛ أي: وما منا أحد إلا تطير، أو بعد (إلا)؛ أي: وما منا إلا متطير.

والمعنى: ما منا إنسان يسلم من التطير؛ فالإنسان يسمع شيئًا فيتشاءم، أو يبدأ في فعل؛ فيجد أوله ليس بالسهل فيتشاءم ويتركه.

والتوكل: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وفعل الأسباب التي جعلها الله تعالى أسبابًا. فلا يكفي صدق

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠)، وأبو داود في (الطب، باب في الطيرة، ٤/ ٢٣٠) ـ وسكت عنه ـ، والترمذي في (السير، باب ما جاء في الطيرة، ٥/ ٣٣٦) ـ وقال: «حسن صحيح» ـ، وابن ماجه في (الطب، باب من كان يعجبه الفأل، ٢/ ١١٧٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢)، وابن حبان (١٤٢٧)، والحاكم(١/ ١٧) ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٧٧).

وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ[(١)].

الاعتماد فقط، بل لا بد أن تثق به؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؟ [الطلاق: ٣].

قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود»: وهو قوله: **«وما منا إلا...»** إلخ.

وعلى هٰذا يكون موقوفًا، وهو مدرج في الحديث، والمدرج: أن يُدخل أحد الرواة كلامًا في الحديث من عنده بدون بيان، ويكون في الإسناد والمتن، ولٰكن أكثره في المتن، وقد يكون في أول الحديث، وقد يكون في وسطه، وقد يكون في آخره، وهو الأكثر.

مثال ما كان في أول الحديث: قول أبي هريرة رضي الله عنه: **«أسبغوا الوضوء، ويلٌ للأعقاب من النار»**[(٢)]؛ فقوله: **«أسبغوا الوضوء»** من كلام أبي هريرة، وقوله: **«ويلٌ للأعقاب من النار»** من كلام الرسول ﷺ.

ومثال ما كان في وسطه قول الزهري في حديث بدء الوحي: **«كان رسول الله ﷺ يَتحنَّث في غار حراء، والتحنث: التعبد»**[(٣)]، ومثال ما كان في آخره: هٰذا الحديث الذي ذكره المؤلف، وكذا حديث أبي هريرة، وفيه: **«فمن استطاع منكم أن يطيل غرته؛ فليفعل»**[(٤)]؛ فهٰذا من كلام أبي هريرة.

* * *

(١) قوله: «وما منا...» إلخ هٰذه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر: «الترمذي» (٥/ ٣٣٧)، و«الترغيب» (٤/ ٦٤)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٢/ ٢٣٤)، و«موارد الظمآن» (ص٣٤٥)، و«فتح الباري» (١٠/ ٢١٣).

(٢) أخرجه: البخاري في (الوضوء، باب غسل الأعقاب، ١/ ٧٤)، ومسلم في (الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين، ١/ ٢١٣).

(٣) أخرجه: البخاري في (بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير، ١/ ١٤)، ومسلم في (الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/ ١٤٠).

(٤) أخرجه: البخاري في (الوضوء، باب فضل الوضوء، ١/ ٦٥)، ومسلم في (الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، ١/ ٢٤٦).

وَلأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَمْرٍو: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**». قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقُولُوا: اللهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ طيرَ إِلاَّ طيرُكَ، .....**

قوله: «من ردته الطيرة عن حاجته»: «من»: شرطية، وجواب الشرط: «**فقد أشرك**»، واقترن الجواب بالفاء؛ لأنه لا يصلح لمباشرة الأداة، وحينئذ يجب اقترانه بالفاء، وقد جمع ذٰلك في بيت شعر معروف، وهو قوله:

اسمية طلبية وبجامد ... وبما وقد وبلن وبالتنفيس

وقوله: «عن حاجته»: الحاجة: كل ما يحتاجه الإنسان بما تتعلق به الكمالات، وقد تطلق على الأمور الضرورية.

وقوله: «فقد أشرك»: أي: شركًا أكبر إن اعتقد أن هٰذا المُتشاءَم به يفعل ويحدث الشر بنفسه، وإن اعتقده سببًا فقط فهو أصغر؛ لأنه سبق أن ذكرنا قاعدة مفيدة في هٰذا الباب، وهي: «إن كل من اعتقد في شيء أنه سبب ولم يثبت أنه سبب لا كونًا ولا شرعًا؛ فشركه شرك أصغر؛ لأنه ليس لنا أن نثبت أن هٰذا سبب إلا إذا كان الله قد جعله سببًا كونًا أو شرعًا؛ فالشرعي: كالقراءة والدعاء، والكوني: كالأدوية التي جُرِّب نفعها».

وقوله: «فما كفارة ذٰلك»: أي: ما كفارة هٰذا الشرك، أو ما هو الدواء الذي يزيل هٰذا الشرك؟ لأن الكفارة قد تطلق على كفارة الشيء بعد فعله، وقد تطلق على الكفارة قبل الفعل، وذٰلك لأن الاشتقاق مأخوذ من الكفر، وهو الستر، والستر واقٍ؛ فكفارة ذٰلك إن وقع وكفارة ذٰلك إن لم يقع.

وقوله: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك»: يعني: فأنت الذي بيدك الخير المباشر؛ كالمطر والنبات، وغير المباشر؛ كالذي يكون سببه من عند الله على يد مخلوق، مثل: أن يعطيك إنسان دراهم صدقة أو هدية، وما أشبه ذٰلك؛ فهٰذا الخير من الله، لٰكن

وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ»[1].

بواسطة جعلها الله سببًا، وإلا؛ فكل الخير من الله ـ عز وجل ـ.

وقوله: «لا خير إلا خيرك»: هٰذا الحصر حقيقي؛ فالخير كله من الله، سواء كان بسبب معلوم أو بغيره.

وقوله: «لا طير إلا طيرك»: أي: الطيور كلها ملكك؛ فهي لا تفعل شيئًا، وإنما هي مسخرة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]؛ فالمهم أن الطير مسخرة بإذن الله؛ فالله تعالى هو الذي يدبرها ويصرفها ويسخرها تذهب يمينًا وشمالاً، ولا علاقة لها بالحوادث.

ويحتمل أن المراد بالطير هنا ما يتشاءم به الإنسان؛ فكل ما يحدث للإنسان من التشاؤم والحوادث المكروهة؛ فإنه من الله كما أن الخير من الله؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]. لٰكن سبق لنا أن الشر في فعل الله ليس بواقع، بل الشر في المفعول لا في الفعل، بل فعله تعالى كله خير؛ إما خير لذاته، وإما لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التي تجعله خيرًا. فيكون قوله: **«لا طير إلا طيرك»** مقابلاً لقوله: **«ولا خير إلا خيرك»**.

قوله: «ولا إله غيرك»: **«لا»**: نافية للجنس، **«وإله»** بمعنى: مألوه؛

---

(١) أخرجه: أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠)، وابن وهب في «الجامع» (ص١١٠)، والطبراني؛ كما في «المجمع» (٥/ ١٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٣).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٥): «وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات».
وقال الشارح في «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٣٩): «وفيه ابن لهيعة».

.....

كغراس بمعنى مغروس، وفراش بمعنى مفروش، والمألوه: هو المعبود محبة وتعظيمًا يتأله إليه الإنسان محبةً له وتعظيمًا له.

فإن قيل: إن هناك آلهة دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [هود: ١٠١].

أجيب: أنها وإن عُبِدَت من دون الله وسُمِّيت آلهة؛ فليست آلهة حقًّا لأنها لا تستحق أن تعبد؛ فلهٰذا نقول: لا إله إلا الله؛ أي: لا إله حق إلا الله.

*** يستفاد من هٰذا الحديث:**

١ ـ أنه لا يجوز للإنسان أن ترده الطيرة عن حاجته، وإنما يتوكل على الله ولا يبالي بما رأى أو سمع أو حدث له عند مباشرته للفعل أول مرة؛ فإن بعض الناس إذا حصل له ما يكره في أول مباشرته الفعل تشاءم، وهٰذا خطأ؛ لأنه ما دامت هناك مصلحة دنيوية أو دينية؛ فلا تهتم بما حدث.

٢ ـ أن الطيرة نوع من الشرك؛ لقوله: «**من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك**».

٣ ـ أن من وقع في قلبه التطير ولم ترده الطيرة؛ فإن ذٰلك لا يضر كما سبق في حديث ابن مسعود: «**وما منا إلا... ولٰكن الله يذهبه بالتوكل**»[1].

٤ ـ أن الأمور بيد الله خيرها وشرها.

٥ ـ انفراد الله بالألوهية؛ كما انفرد بالخلق والتدبير.

* * *

(١) سبق (ص٥٧٥).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ العَبَّاسِ: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»(١).

قوله في حديث الفضل: «**إنما الطيرة**»: هٰذه الجملة عند البلاغيين تسمى حصرًا؛ أي: ما الطيرة إلا ما أمضاك أو ردك لا ما حدث في قلبك ولم تلتفت إليه، ولا ريب أن السلامة منها حتى في تفكير الإنسان خير بلا شك، لٰكن إذا وقعت في القلب ولم ترده ولم يلتفت لها؛ فإنها لا تضره، لٰكن عليه أن لا يستسلم، بل يدافع؛ إذ الأمر كله بيد الله.

قوله: «ما أمضاك أو ردك»: أما «**ما ردك**»؛ فلا شك أنه من الطيرة؛ لأن التطير يوجب الترك والتراجع. وأما «**ما أمضاك**»؛ فلا يخلو من أمرين:

الأول: أن تكون من جنس التطير، وذٰلك بأن يستدل لنجاحه أو عدم نجاحه بالتطير، كما لو قال: سأزجر هٰذا الطير، فإذا ذهب إلى اليمين؛ فمعنى ذٰلك اليُمْن والبركة، فيقدم؛ فهٰذا لا شك أنه تطير؛ لأن التفاؤل بمثل انطلاق الطير عن اليمين غير صحيح؛ لأنه لا وجه له؛ إذ الطير إذا طار؛ فإنه يذهب إلى الذي يرى أنه وجهته، فإذا اعتمد عليه؛ فقد اعتمد على سبب لم يجعله الله سببًا، وهو حركة الطير.

الثاني: أن يكون سبب المُضيّ كلامًا سمعه أو شيئًا شاهده يدل على تيسير هٰذا الأمر له؛ فإن هٰذا فأل، وهو الذي يعجب النبي ﷺ، لٰكن إن اعتمد عليه وكان سببًا لإقدامه؛ فهٰذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولٰكنه فرح ونشط وازداد نشاطًا في طلبه؛ فهٰذا من الفأل المحمود.

والحديث في سنده مقال، لٰكن على تقدير صحته هٰذا حكمه.

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٢١٣).

وقال ابن مفلح في «الآداب» (٣/ ٣٧٧): «رواه أحمد من رواية محمد بن عبد الله بن علاثة، وهو مختلف فيه، وفيه انقطاع»، وقال الشيخ سليمان (ص٤٤٠): «وهٰكذا رواه أحمد، وفي إسناده نظر».

● فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: التَّنْبيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾[٢].

الثانية: نَفْيُ العَدْوَى.

الثالثة: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.

الرابعة: نَفْيُ الهَامَةِ.

الخامسة: نَفْيُ الصَّفَرِ.

فيه مسائل:

● **الأولى: التنبيه على قوله**: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: أي: لكي يتنبه الإنسان، فإن ظاهر الآيتين التعارض، وليس كذٰلك؛ فالقرآن والسنة لا تعارض بينهما ولا تعارض في ذاتهما، إنما يقع التعارض حسب فهم المخاطب، وقد سبق بيان الجمع أن قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أن الله هو المقدر ذٰلك، وليس موسى ولا غيره من الرسل، وأن قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ من باب السبب؛ أي: أنتم سببه.

● **الثانية: نفي العدوى**: وقد سبق أن المراد بنفيها نفي تأثيرها بنفسها لا أنها سبب للتأثير؛ لأن الله قد جعل بعض الأمراض سببًا للعدوى وانتقالها.

● **الثالثة: نفي الطيرة**: أي: نفي التأثير لا نفي الوجود.

● **الرابعة: نفي الهامة**: وقد سبق تفسيرها.

● **الخامسة: نفي الصفر**: وسبق تفسيره.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣١.

(٢) سورة يٰس: الآية ١٩.

السادسة: أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السابعة: تَفْسِيرُ الفَأْلِ.

الثامنة: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القُلُوبِ مِنْ ذٰلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لاَ يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ اللَّهُ بالتَّوكُّلِ.

التاسعة: ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ.

● **السادسة: أن الفأل ليس من ذٰلك، بل مستحب**: تؤخذ من قول النبي ﷺ: «**يعجبني الفأل**»[(١)]، وكل ما أعجب النبي ﷺ؛ فهو حسن، قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله**»[(٢)].

● **السابعة: تفسير الفأل**: فسره النبي ﷺ بأنه: الكلمة الطيبة، وسبق أن هٰذا التفسير على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ لأن الفأل كل ما ينشط الإنسان على شيء محمود؛ من قول، أو فعل مرئي أو مسموع.

● **الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذٰلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل**: أي: إذا وقع في قلبك وأنت كاره له؛ فإنه لا يضرك ويذهبه الله بالتوكل؛ لقول ابن مسعود: «**وما منا إلاَّ... ولٰكن الله يذهبه بالتوكل**»[(٣)].

● **التاسعة: ذكر ما يقول من وجده**: وسبق أنه شيئان:

---

(١) سبق (ص٥٧٠).

(٢) أخرجه: البخاري في «الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، ١/ ٧٥)، ومسلم في (الطهارة، باب التيمن في الطهور، ١/ ٢٢٦).

(٣) سبق (ص٥٧٥).

العاشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الحادية عشرة: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ.

أن يقول: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

أو يقول: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

● **العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك:** وسبق أن الطيرة شرك، لكن بتفصيل، فإن اعتقد تأثيرها بنفسها؛ فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب؛ فهو شرك أصغر.

● **الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة:** أي: ما أمضاك أو ردك.

* * *

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم الجزء الأول ولله الحمد

ويليه الجزء الثاني وأوله باب ما جاء في التنجيم.

* * *